وجاروا ، واقتصدوا وأسرفوا ، وطلب المتأخر الزيادة ، واشتاق إلى الفضل فتجاوز غاية الأول ، ولم يقف عند حد المتقدم ، فاجتذبه الإفراط إلى النقص ، وعدل به الإسراف نحو الذم .» [١]

وقد أباح ابن الأثير استعمال (الإفراط) معلّلا ذلك بأن أحسن الشعر أكذبه ، بل أصدقه أكذبه ، لكن تتفاوت درجاته ، فمنه المستحسن الذي عليه مدار الاستعمال كقول عنترة :

وأنا المنيَّةُ في المَواطِنِ كُلِّها وَالطَّعْنُ مِنّي سابِقُ الآجالِ

ومنه المستهجَن كقول النابغة :

إذا ارْتَعَثَتْ خافَ الجَبانُ رِعاثَها وَمَنْ يَتَعَلَّقْ حَيْثُ عُلِّق يَفْرَقِ

« فهو يصف طول قامتها لكنه من الأوصاف المنكرة التي خرجت بها عن حيز الاستحسان .» [٢]

ويرى بعض النقاد أن هناك أصنافًا من المبالغة يمكن قبولها إذا ما توفر فيها بعض الخواص التعبيرية أو الدلالية ، أولها ما أدخل عليه ما يقربه إلى الصحة نحو لفظة (يكاد) في قوله تعالى : ﴿ يكادُ زَيْتُها يُضيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نار ﴾ ، وفي قول الشاعر يصف فرسًا :

وَيَكادُ يَخْرُجُ سرعَةً عَنْ ظِلِّهِ لَوْ كانَ يَرْغَبُ في فِراقِ رَفيقِ

والثاني – ما تضمن نوعًا حسنًا من التخييل كقول أبي الطيب :

عَقَدَتْ سَنابِكَها عَلَيْها عِثْيَرًا لَوْ تَبْتَغي عَنَقًا عَلَيْهِ لأَمْكَنا

---

(١) القاضي الجرجاني : الوساطة ، ص ٤٢٣ .

(٢) ابن الأثير : المثل السائر ، ج ٣ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .